

## نافذة

### الحلال والحرام

مفهومان أظهرهما الظل الهائل في المشاريع الدينية الإسلامية التي ما زالت تعتمد على المفسرين الذين لم يصلوا إلى المراتب العلمية للنص القرآني وتفكيك الغازه الفكرية والفلسفية العميقة، ولم يستطيعوا أن يتحولوا للتطوير موابكة لقتضيات الحياة والبحث بمبدأي الصح والخطأ القريبين من الذهنية الإنسانية العلمية والبحث في المسائل التي يجريها العقل والخبرات الإنسانية التراكمية نتاج تقارب الثقافات وتداخلها بسبب وسائط النقل الفضائي بكل تنوعاته، حيث أوجدت تناقضات هائلة يفرضها عنواننا على مجتمعتنا العربي والإسلامي الذي أربك مسيرة التطور لديه نتاج وقوعه في حباته، ومن ثم توهانه فيه بعد نفيه لتدرج الألوان، وأصرر أن الحياة لوانان، إما أبيض وإما أسود، والعالم يتقدم بتسارع مذهل، ونحن منتظرون نبحت عن المنطق في اللامنطق، فإذا كان لدينا الجميل والأجمل والشارق في الجمال، وكذلك السيئ والأسوأ وديمق الفائضة والعدم والضعيف والمقبول والجيد والممتاز، وإذا كان لدينا اللذيذ والألذذ والرائحة الشهية والعطرة والمقرقة والنلثة والخائفة، فبأي حق نحمك ونجزم ونقر بأن هذا حلال وهذا حرام؟ هل العلم حرام والدين حلال؟ هل الفلسفة حرام والشريعة حلال؟ هل الشك كفر واليقين إيمان؟ هل الإلحاد هرطقة والشراء حلال؟ كيف بالراء بفعل السبعة وذمتها، ويقول: حلال ويحرمها على الآخر؟

أليست الأفعال الإنسانية تمتلك التنوع وتعتبر أجزاء مكملة للحضور الاجتماعي الذي يختلف مع كل حقبة زمنية؟ وإذا أصر على بقائه كجزء يعني أنه أفرز وجوده عن ذلك التنوع، ألا يعتبر الإصرار على عدم الانصهار أو تشكيل النسيج المختلف الألوان عنصرية، تظهره أنه ضد التطور ومتعاسك الاتجاه ما حركته. ما الفرق بين ابن الخطيئة التي تعني الزنا وابن الحرام؟ والحرام هنا كما فسره الإمام المقدر من الذات العلية، بأنه يسكن صلب الرجل، حتى اللحظة لم يقدر الفكر الإسلامي أن يفتح نوافذ في جدار الثوابت المحرمة، أو أن يطل ليرى ما حدث في محيطه رغم أن سواد ما يلبسه ويتغنّى عليه، ويستخدمه ويركبه «بتكسيج» ويتعطر به هو من منتج الآخر، أو بأدوات غيره، أي بامتياز يأخذ منه، وفي الوقت ذاته يدعو لحاربه ولعنه، ويقتي بتكفيره، لذلك يبقى بعيدا من تقديم رؤية جديدة حول المسائل الأخلاقية، وإذا كان هناك من حاول، فإنه خاف أو اختبأ تحت مقترضيات النص المقدس، أو أولئك المفسرين الماوسوين المستمرين في الصور الجديدة لهم، لأن الذهنية الإسلامية مشبعة بأفكارهم على الرغم من أن البعض يهاجمهم في العلن وفي السر حاملا لأفكارهم من دون إحداث أي تقدم أو تغيير. تابعوا معي مسألة واقعية، التفتيح بتاجر عربي خليجي، كان ذلك في ثمانينات القرن الماضي في ألمانيا الاتحادية، أراد أن يشتري كمية كبيرة من معلبات الديك الرومي، ذهبنا إلى الشركة المنتجة، وتباحثنا معهم وتوقفنا عند مسألة الذبح فقلت له: إن العملية تتم بالصعق الكهربائي للتطور، أي إنها لا تتم على طريقة الذبح الإسلامية، طبعاً رفض العملية لأنها حرام، وعدنا الرانجا، وفي المساء وجده بجادتي قايلا، أن أبيضون عليها لاصقاً بأن الذبح تم على الطريقة الإسلامية، وأن الطريقة حلال؛ قلت له: نسأل، وفعلنا أجابوني بأنهم جاهزون، بأن يكتنوا على العيوات ما نريد، وتمت الصفقة، وتكررت بعدما مرات ومرات، وأيضاً منتجات اللحوم المستوردة والأجبان وجميع أنواع الملبات، هل حاولتم مرة واحدة التفكير أو قراءة محتوياتها؟

ما معنى انتشار البنوك الإسلامية في الدول العربية والإسلامية؟ وأن التعامل مع أي بنك منه يعني التعامل بالحلال، وأن لكل بنك منها مفتحا يبقى لها، وهذه الظاهرة التي انتشرت ألا تتلاعب بالعقل العربي الإسلامي؛ ألا تتماثل مع البنوك الأخرى، وتستثمر أموالها مثلها تماماً بعد أن استمدت تعليمها منها؟ وهل البنوك الأخرى حرام؟

ما معنى أن يلجأ التجار إلى فتاوى تبيح أعمالهم ليستخدموها في التصنيع والتصدير والاستيراد والمناقصات؛ وكذلك الدولة تستقتي موظفي الأوقاف وهي التي تمتلك سلطاتها القانونية والتشريعية، ما معنى أن نربي أجيالنا على الحرام والحلال بدلا من أن نعلمهم أن هناك قانونا يكسب على الصم والخطأ، وأن نعزز أفكار الأخلاق؟ ما معنى وجود خلاف بين التفكير والتكفير؟ بين الفكر والدين؟ بين الواقع والخيال؟ بين الشك الذي يوصلنا إلى اليقين والتسليم المطلق واليقيني؟ بين التخلف والتطور؟ بين التقدم والتفقر؟ ويحق لنا أن نسأل أين نحن من هذه الحياة الحية ووصول البشرية إلى سبعة مليارات وأكثر، وجميعها تنتمسك بفهمهم المواطنة الذي يحقق لها استمرارها بالصبح وتصحيح الخطأ؟

هل التفكير حرام خارج الأطر الفقهية؟ يجيبك سواد التابعين من الأمة بحسب فلسفة القطيع أجل، لأنه يأخذ بك إلى الكفر، والندرة يطلونه، لأنهم يعتقدون بقيادةه للإيمان، ويأخذ بك للتفكر، ويدعوك لكي تكون ناد، وهذا ما بحث عليه الإنجيل الحق والقرآن الجيد بعيدا من المفتين والمفسرين والرهبان.

أست أنت أجيل الإنسان تمثل جرما صغيرا، فيك انضوت حوامل الجمال والجمال والحلال والحرام، وأنت تضم الأشياء كلها: البقاء والرحيل والخلود، والقناء والهدم والبناء؛ وصحيح أن الدين عالج بعض القضايا مثل الإيثارة والزكاة والصدقة وإغاثة الملهوف، وحض على منع التكبر، ورحم جاهدنا لتطوير الأفعال الخيرة، وبنها في نفوس المسلمين، وحرم الواأ للبنات وزواج المحارم، إلا أنه عجز عن تقديم الحلول لكثير من قضايا حرية الإنسان للمعتقد والدخول إلى الفلسفة الأخلاقية التي تحث على المحاولة والتجربة والشك والإبداع الفتي بصنوفة السبعة وحقوق المرأة ومساواتها أخلاقياً ومايما مع الرجل أيضاً في العلم والعمل والإبداع والإنتاج، وهنا أكرر ما كتبه سابقا عن الأول والثاني وأقصد الأخلاق والدين ومن أنتج من، ومعنى إنهما بحث لأتمت مكارم الأخلاق، وأن اختيار الرسول العربي كان من خلال: وإنك لعلى خلق عظيم، ولم يقل: إنك لعلى بين عظيم.

هل أرتكنا المعنى الجوهري للحياة ودورها مهم في إظهار التنوع الديني والوجودي الذي اعتبر الجميع مؤمنين، وأن كل واحد آمن بطريقته، وأثر ذلك في العلاقات الإنسانية ومهمتها في بناء وعي المجتمعات المتطورة التي أعطت للقيم الروحية حقها وللحياة حقوقها وأهدتها الأول.

هل استطعنا أن نخوض في مفاهيم الذات الإلهية، وقاربنا عملية الروح، وددقنا في نظامي الجنة والنار، العقل والشهوة، واعتبرنا أنها جوهر الفلسفة؛ ولذلك أتى المفسر الإسلامي ليعضها في خاتة الحرام. ما يحرمه الدين الإسلامي محلل عند الأبيان الأخرى، ولم أجد تحريما عند الأبيان الأخرى، لما حرمه الإسلام، والإسلام قدم اليسر على العسر والأبيان نهلتم من معين واحد، إن الحلال والحرام وجدا في الوعي الديني الذاتي الذي تحفزه العقيدة، بينما الصح والخطأ فكر أخلاقي عام يسعى إليه القانون بعد أن أدرك حجم النقص في الفكر الديني، فيبادر لإتصامه عبر النصم والقانون العام الذي قدم للعالق الإنساني نادفاً إياه لفهم الحياة والاشتغال لها. حتى اللحظة فكرنا لم يصل إلى مفهوم القانون العام رغم خضوعه له، والتقصير مشترك بين الفرد والدولة، وأول ما ينبغي أن يدركه المرء معرفة ما له وما عليه، ومعها تتطور أفعال الصح، وتنخفض نسبة الخطيئة، وتنتهي كلمة حرام وقع في الخطيئة، ونقول حينها خطأ ويستحق العقاب.

الحلال والحرام، الصبح والخطأ، حاولت أن أقارب بينهما، علنا نذهب جميعا نحو الأفضل.

د. نبيل طعمة

### حي الصالحية في دمشق تاريخ وشواهد وتراث عالي

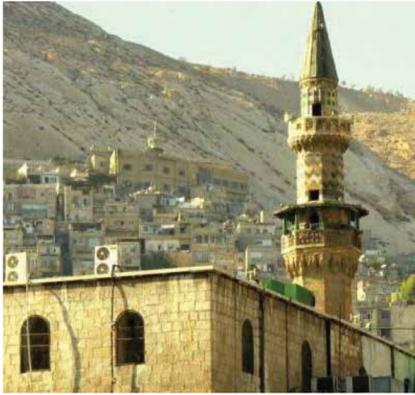
# سفح قاسيون مدارس كثيرة ومزارات ودكاكين وراقين ومآذن شاهدة

الأقدام مخترقين طريقها الرئيسي المرصوف بالأحجار البازلتية السوداء التي كانت ممهدة ومستوية منذ زمن، ولكنها غير ذلك حالياً، إذ إن بعضها قد تالشى وأصبحت الحفر متناثرة فيه، ويُعرف بـ:«سوق الجمعة» المكتظ بالسكان والباعة والحافلات، الممتد من منطقة ركن الدين شرقاً إلى منطقة العقيف غرباً، وهم يستمعون إلى شرح شفهي من أحد أبناءها العارفين بها، وهو الأستاذ المؤرخ محمود الرقاعي، وشاهدوا أبنيتها الأثرية والحلال التي تردت إليها. وتعميماً للفائدة، رأيت كتابة هذه المقالة عن هذا الحي، مستمداً معلوماتها مما سمعته منه، ومن مشاهداتي المباشرة، ومن قراءاتي عنها، أملاً أن يتذكّر كرام القارئات والقراء ما لا يتذكّرونه، ويتعرفوا إلى ما لا يعرفونه، وكلي رجاء وتطلع بأن تتضمن أصوات الجميع للمطالبة بإتقان ما يمكن إنقاذه وإصلاح ما يمكن إصلاحه.

## لا بد من خدمة هذه الآثار بشكل أفضل وأرقى لتتحول إلى التراث العالمي



تربة الروضة وحي الصالحية ومئذنة جامع الحنابلة بدمشق



جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي

– سبع مدارس دينية: الضيائية، الصاحبة، الأتابكية، الجهركسية (الجركسية)، الشيلية، القاهرةية، البغورية، وهذه الأسماء نسبةً لمؤسسيها وما تزال قائمة. أما مدارس: البيهسية، القديمة، العظيمة، الغلمية، الميطورية، اليغورية، العزيرية، فقد اندثرت.

– البيمارستان القمري: الذي ما يزال قائماً إلى اليوم وبوجهته الرائعة بجوار جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي في الغرب، وكان جمعاً صحياً وخدمياً متكاملًا ببناء الأمير سيف الدين بن يوسف القيصري المتوفى سنة ٦٥٤ هـ، ١٢٩٥ م، الذي أعطى اسمه للحي باسم حي الشيخ قيمر. ومع أن هذا المجمع قد أعيد تجديده قبل سنوات، وصار يؤدي وظائفه السابقة، إلا أنه حالياً مغلق وبحالة سريية يرثي لها.

– زوايا الصوفية: وهي بناء حجري قرب جامع الشيخ محيي الدين كانت. وما زالت - تقدم الطعام مجاناً للفقراء في أوقات محددة على نفقة المحسنين. – زوايا الصوفية: وهي أماكن صغيرة تستخدم للزهد والعبادة نشأت لتكاثر الفرق الصوفية وتوعوها، وقد بلغ عددها تسع وعشرين زاوية، منها الزاوية الملكية تحت كهف جبriel، الفرنتية، وأعلمها الزاوية الداوودية، التي أنشأها الشيخ أبو بكر بن داوود الصوفي في حدود سنة ٨٠٠ هـ، ١٣٩٨ م، وهي ضريح حالياً، وكان لبعض هذه الزوايا أوقاف حيث تقدم الأطعمة للفقراء في بعض أيام الأسبوع وفي رمضان والعديد. أما زوايا: الدينورية، الأرمووية، الغسولية، فقد اندثرت تماماً.

– الترب: وقد بلغ عددها أكثر من أربعين تربة ملأت الصالحية قبايا وقيورا للأمراء والكبراء، إلى جانب قبور العامة، منها ما يزال قائماً حتى اليوم وأهمها التربة الجنوبيتية، وبعضها اندثر. – الخاتقاتان: وقد أنزلت وأقيم مكانها أبنية سكتنية أو في طريقها إلى ذلك.

– جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي: ويقع في وسط حي الصالحية، سمي تكريماً للشيخ المتصوف محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، وهو مدفون فيه، وكان يعرف أيضاً بالجامع السلمي نسبة إلى السلطان سليم الأول، وجامع الختكار أي جامع السلطان، والجامع المحيوي نسبة للشيخ محيي الدين ابن عربي. كان الجامع في الأصل بناءً صغيراً فيه منبر ومحراب وضريح الشيخ محيي الدين، ولدى وصول السلطان العثماني سليم الأول إلى مدينة دمشق، ولأهمية المكان، فقد أمر بتريميمه وتوسيعه، وكان ذلك عام ٩٢٣ هـ، ١٥١٨ م، يتكون الجامع من صحن كبير تتوسطه برجة ماء صغيرة، ويليه رواق كبير مرفوع على أعمدة، ثم يمتد الحرم المسجدي الذي يرتفع سقفه على عدد من القناطر والأعمدة، ويتوسطه عند حائطه الجنوبي منبر ومحراب.

يقع ضريح الشيخ محيي الدين داخل غرفة واسعة تحت الأرض في شرقي المسجد، وهي مزخرفة ولها قبة، ويتم النزول إليه بدرج حجري، والضريح مسور بسياج فضمية، وإلى جانبه يقع قبرا ولديه عماد الدين وسعد الدين، وقربه يوجد قبر الأمير الجاهد بعد ترميمه.

الجامع الأموي أيضاً، ويحمل أيضاً اسم: «جامع الصالحين»، أو: «جامع الجبل» لملاصقته جبل قاسيون، أو: «الجامع المغزفي» نسبةً للملك المغزف بن زين الدين صاحب إربل في عهد صلاح الدين الأيوبي، الذي كان قد ساعد ببنائه، وكان قد شرع ببنائه عام ٥٨٨ هـ، ١٢٠٢ م، على نفقة الشيخ: «أحمد الغامي» وبدأت الصلاة فيه عام ٦١٠ هـ، ١٢١٢ م، وقد كرس هذا الجامع تحول الصالحية إلى بلد عُرف بأنه ذو «منبر»، مسجد الحنابلة ما يزال قائماً بحالة جيدة حتى الآن، وتقام فيه الشعائر الدينية بانتظام.

أبي صالح قرب باب شرقي بدمشق، ومن هنا عرفوا بالصالحين، وكانوا على المذهب الحنبلي، وبسبب إصابتهم بالمرض بسبب إقامتهم قرب الفوطة الشرقية المشهورة برطوبتها، فقد فروا الانتقال إلى منطقة جافة سعيًا للشفاء، ولما كانت مدينة دمشق حينها هاجروا إليها أيام نور الدين محمود بن زكي (٥١١-٥١٩ هـ) كان يستغلهم مرمعين بفاخحة الأرض، ونزلوا في مسجد أبي صالح قرب باب شرقي بدمشق، ومن هنا عرفوا بالصالحين، وكانوا على المذهب الحنبلي، وبسبب إصابتهم بالمرض بسبب إقامتهم قرب الفوطة الشرقية المشهورة برطوبتها، فقد فروا الانتقال إلى منطقة جافة سعيًا للشفاء، ولما كانت مدينة دمشق حينها هاجروا إليها أيام نور الدين محمود بن زكي (٥١١-٥١٩ هـ) كان يستغلهم مرمعين بفاخحة الأرض، فقد اختاروا السكن بسفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الشمال، على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من أسوارها، وبدؤوا ببناء البيوت والمساجد والوراقين والجنذ، وتشتمل على أسواق، واجتمع اليهم شيوخه من كل مكان، ولم تض مئة سنة حتى كانت الصالحية، التي اكتسبت اسمها من كثرة عدد الصالحين فيها، مدينة صغيرة للعلم حافلة بالعلماء، هي أول مدينة نشأت بعد دخول الإسلام إلى سورية واختصت بتدريس العلم الديني، وضمت – في العصرين المملوكي والعثماني - عشرات الجوامع والزوايا والخاتكات والتكايا والمدارس النشيطية، وأخرجت الكثير، وجميعها تنتمسك بالمواطنة الذي يحقق لها النساء العالما، واستمر نشاطهم العلمي والديني نحو ثلاثة قرون ونصف القرن، بين أواسط القرن السادس وأوائل القرن العاشر الهجري، وبين منتصف القرن الثالث عشر وأواخر القرن السادس عشر، قبل أن يطرأ عليهم شيء من الخمول.

#### المقاسة ودمشق

اعتباراً من أواسط القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، بدأت تبرز في مدينة دمشق أسرة علمية عُرفت بـ: «آل قدامة» أو: «المقاسة»، وهم جماعةٌ من شيوخ وفلاحي بلدة «جامعل»، وغيرها من القرى المجاورة الواقعة قرب القدس ونابلس في فلسطين؛ كانوا قد هربوا من التعسف الصليبي الذي كان يستغلهم مرمعين بفاخحة الأرض، ونزلوا في مسجد أبي صالح قرب باب شرقي بدمشق، ومن هنا عرفوا بالصالحين، وكانوا على المذهب الحنبلي، وبسبب إصابتهم بالمرض بسبب إقامتهم قرب الفوطة الشرقية المشهورة برطوبتها، فقد فروا الانتقال إلى منطقة جافة سعيًا للشفاء، ولما كانت مدينة دمشق حينها هاجروا إليها أيام نور الدين محمود بن زكي (٥١١-٥١٩ هـ) كان يستغلهم مرمعين بفاخحة الأرض، فقد اختاروا السكن بسفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الشمال، على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من أسوارها، وبدؤوا ببناء البيوت والمساجد والوراقين والجنذ، وتشتمل على أسواق، واجتمع اليهم شيوخه من كل مكان، ولم تض مئة سنة حتى كانت الصالحية، التي اكتسبت اسمها من كثرة عدد الصالحين فيها، مدينة صغيرة للعلم حافلة بالعلماء، هي أول مدينة نشأت بعد دخول الإسلام إلى سورية واختصت بتدريس العلم الديني، وضمت – في العصرين المملوكي والعثماني - عشرات الجوامع والزوايا والخاتكات والتكايا والمدارس النشيطية، وأخرجت الكثير، وجميعها تنتمسك بفهمهم المواطنة الذي يحقق لها استمرارها بالصبح وتصحيح الخطأ؟

هل التفكير حرام خارج الأطر الفقهية؟ يجيبك سواد التابعين من الأمة بحسب فلسفة القطيع أجل، لأنه يأخذ بك إلى الكفر، والندرة يطلونه، لأنهم يعتقدون بقيادةه للإيمان، ويأخذ بك للتفكر، ويدعوك لكي تكون ناد، وهذا ما بحث عليه الإنجيل الحق والقرآن الجيد بعيدا من المفتين والمفسرين والرهبان.

#### سفح قاسيون حياة

وكان سفح قاسيون – آنذاك – أرضاً واسعة منحدرية يخترقها نهر «يزيد» و«تورا» عند ذيلها الأخيرة، وهما فرعان لنهر «بردى»، وتمتد البساتين والخضرة إلى الجنوب منها، والأرض القاحلة على سفح الجبل الصاعد حتى القمة، وكان أهل دمشق ينتابرون بهذا السفح لأن فيه عدداً من الكهوف والمغائر ذات السمعة التاريخية مثل مغارة الدم حيث قتل قابيل أخاه هابيل، والتي تُعرف أيضاً بمغارة الأربعين التي دفن فيها أربعون نبياً، وكهف جبriel حيث تلقى أهل الغزاة بابنه هابيل، والتي يعرف أيضاً بكهف أهل الكهف؛ حسب المعتقد، وقد أقيمت في هذه المواقع بعض المساجد الصغيرة التي ما زال بعضها حتى الآن، أو أُعيد بنائها.

ولم يقتصر إعمار سفح قاسيون على أيادي آل قدامة فحسب، وإن كانوا هم من بنى مدينة العلم التي عُرفت بالصالحية، والعلم في ذلك الوقت يعني علوم الدين، فهاجر إلى دمشق الأكراد أيام القائد صلاح الدين الأيوبي بعد مشاركتهم في معركة حطين وفتح بيت المقدس؛ وشكلوا حي الأكراد، الذي صار اسمه حديثاً حي ركن الدين، والجزائريون مع الأمير عبد القادر الجزائري، والأرمن الذين هربوا من المذابح التركية أواخر القرن التاسع عشر، والشركس في مطلع القرن العشرين، الذين نزلوا في «دير مران»، والذين أعلوا منطقة المهاجرين اسمها، وقد ساهم هؤلاء جميعاً في تشييد الأبنية الدينية والسكتنية والخدمية في كامل المنطقة.

يعد مبنى «المسجد العمري» و«الدرسة العمرية» من أقدم المباني الأثرية التي ما زالت أطلالها قائمة حتى اليوم على نهر يزيد، عند آخر موقف لحافلات «شيخ – ميدان»، أنشأها في عام ٥٨٠ هـ، ١١٨٥ م الشيخ «أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي (٥٢٨ – ٦٠٧ هـ، ١١٣٤ – ١٢١١ م)، الذي كان قد هاجر مع والده إلى دمشق قادماً من فلسطين عام ٥٥١ هـ، ١١٢٧ م، بهدف استيعاب طلبه العلم الشرعي من قبيل قراءة القرآن الكريم والفقه الإسلامي، وتخرج فيها عدد من كبار العلماء، يشار إلى أن لافتة منصوبة - منذ سنوات - أمام المدرسة تشير إلى مشروع لترميمها، غير أنه لم يكتمل.

#### المدارس والمساجد

ويعد ذلك بُني «جامع الحنابلة»، الذي ما يزال قائماً إلى اليوم غير بعيد عن المسجد والدرسة العمرية، وكان ثاني أكبر جامع في دمشق بعد الجامع الأموي واتخذ مخططه، وثاني مسجد بدمشق له منبر بعد

عبد القادر الجزائري (١٨٠٨ - ١٨٨٣ م)، الذي نُقِلَ رفاته إلى الجزائر عام ١٩٦٥ م، ولكن بقايا القبر ما زالت، وهناك خمسة قبور لأئمة صالحين. المسجد والضريح مفتوحان للزيارة طوال النهار، وهما بحالة جيدة خلاف أبنية الحي المتهاكلة، وتشرف عليه بشكل مباشر وزارة الأوقاف السورية. -ناعورة جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي: ويقع في الجهة الجنوبية من المسجد ضمن بيتٍ عربي قديم متهالك، وهي بولاية خشبي له أحواض تمتلئ بماء نهر يزيد، الذي يرتفع من الأسفل إلى الأعلى بالقوة الذاتية، ويسيل ضمن قناة صغير ليستخدم سكان منطقة الصالحية في حاجاتهم المختلفة، ويعود تاريخ تشييدها إلى فترة توسعة جامع الشيخ محيي الدين بهدف تأمين الماء لبيمارستان قيمر وجامع الشيخ محيي الدين. بقيت الناعورة تُؤدى وظيفتها حتى فترة شح مياه نهر يزيد قبل سنوات، حيث توقفت عن العمل، وهي الآن بحالة مزرية.

#### شواهد علمية

وهناك أيضاً «مسجد أبي النور» الذي كان مصلى صغيراً قديم البناء إلى الشرق من مسجد الشيخ محيي الدين وقرب منطقة ركن الدين، قبل أن يقام بدلاً منه في سبعينات القرن الماضي «مجمع الشيخ أحمد فتقارو»، ذا الطوابق الثمانية، ويضم مسجداً واسعاً وعدة معاهد وكتليات جامعية شرعية ومؤسسات تعليمية وخيرية.

ويقرب مسجد أبي النور يقع مسجد الشيخ العارف بالله عبد الغني النابلسي المتوفى عام ١١٤٣ هـ، ١٧٣٠ م، حيث بني المسجد بعد وفاته، وجرى ترميمه، والآن بحالة جيدة.

وإذنا وصف سريع لحي الصالحية الدمشقي ولبعض مبانيه، تاريخياً وحاضراً، وإذا كان من يتجول فيه يستشعر عبق التاريخ الفواح منه، ويژهو فحراً ببقدره السابقين على تشييد الأبنية الفخمة ذات الوظائف المختلفة، إلا أنه يتألم بشدة للحال المتردية التي آلت إليها بعض أبنيته، ويعتصر حزناً على الدرك الأسفل الذي اندثرت إليه بفعل عدايات الزمن وتعديات الإنسان، ما يستوجب تدخلاً سريعاً من الجميع لتقادي الأسوأ، وانتشال ما يمكن انتشاله من أطلالها، حتى يتسنى للاحقين مشاهدة ما بناه السابقون قبل أن يندثر تماماً، وقبل أن تصبح من الحضارات التي سادت ثم باتت.

#### من التراث العالمي

وإذا كان السوريون في هذه الأيام يستعدون لمرحلة إعادة إعمار بلدهم بعد حرب طالمة شُنت عليهم، فإنهم في الوقت ذاته مدعوون للبدء بتريم أبنيتهم التاريخية المتهاكلة التي آكل الزمان عليها وشرب، أو التي تدمرت بفعل الحرب، ليس في حي الصالحية فحسب، بل في كل مكان فيه سواء بدمشق أو غيرها من البقاع السورية، وكما قال السلف الصالح هذه الأبنية البنا سالمة معاقاة، فإن على أبناء اليوم تسليها لأجيال القادمة سالمة معاقاة أيضاً.

وإذا كنا نطالب السلطات الحكومية بذلك، فإن هذا لا يعني المجتمع المحلي من القيام بواجبه أيضاً تجاه هذه الآثار، بل إن دوره قد يتفوق على دور الجهات العامة، كيف لا وأفراد المجتمع على صلة دائمة بهذه الآثار، وهم الذين استباحوها وسكنوا فيها بجوارها؛ ومع أن الجميع يكره هذه العبارة في كل المحافل والإماكن: «لو أن هذه الآثار كانت في مكان آخر فإن معاملتها ستكون بشكل مختلف، وحالها سيكون - بالتأكيد - أفضل وأرقى»، إلا أننا لا نرى اتخاذ أي خطوات ملموسة لتصبح آثار الصالحية بشكل مختلف أفضل وأرقى، وعلى الجميع هنا أن يحاولوا ذلك الأفعال إلى أفعال، حتى يجعلوا من الأبنيات والرجاءات والتطلعات واقعا ملموساً على الأرض.

مقام الشيخ محيي الدين ابن عربي